@ 598 @ اشتمل على الخير الكثير ، والبر الغزير . وفيه من الهداية ، لمصالح الدارين ، والأخلاق الفاضلة ، ما ليس في غيره في قوله : ! 2 2 ! من تعظيمه وشدة الإهتمام به ، من كونه نزل من ا ، لا من غيره ، مقصودا فيه نفعكم وهدايتكم . ! 2 2 ! وهو : جبريل عليه السلام ، الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم ، ! 2 2 ! الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص . ! 2 2 ! يا محمد ! 2 2 ! تهدي به إلى طريق الرشاد ، وتنذر به عن طريق الغي . ! 2 ! 2 وهو أفضل الألسنة ، بلغة من بعث إليهم ، وباشر دعوتهم أصلا ، اللسان البين الواضح . وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم ، فإنه أفضل الكتب ، نزل به أفضل الملائكة ، على أفضل الخلق ، على أفضل أمة أخرجت للناس ، بأفضل الألسنة وأفصحها ، وأوسعها ، وهو : اللسان العربي المبين . ! 2 2 ! أي : قد بشرت به كتب الأولين وصدقته ، وهو لما نزل ، طبق ما أخبرت به ، صدقها ، بل جاء بالحق ، وصدق المرسلين . ! 2 ! 2 على صحته ، وأنه من ا ! 2 2 ! الذين قد انتهى إليهم العلم ، وصاروا أعلم الناس ، وهم أهل الصنف . فإن كل شيء يحصل به اشتباه ، يرجع فيه إلى أهل الخبرة والدراية ، فيكون قولهم حجة على غيرهم . كما عرف السحرة الذين مهروا في علم السحر ، صدق معجزة موسى ، وأنه ليس بسحر . فقول الجاهلين بعد هذا ، لا يؤبه به . ! 2 2 ! الذين لا يفقهون لسانهم ، ولا يقدرون على التعبير كما ينبغي ! 2 2 ! يقولون : ما نفقه ما يقول ، ولا ندري ما يدعو إليه ، فليحمدوا ربهم ، أن جاءهم على لسان أفصح الخلق ، وأقدرهم على التعبير عن المقاصد ، بالعبارات الواضحة ، وأنصحهم . وليبادروا إلى التصديق به ، وتلقيه بالتسليم والقبول . ولكن تكذيبهم له من غير شبهة ، إن هو إلا محض الكفر والعناد ، وأمر قد توارثته الأمم المكذبة ، فلهذا قال : ! 2 2 ! أي : أدخلنا التكذيب ، ونظمناه في قلوب أهل الإجرام ، كما يدخل السلك في الإبرة ، فتشربته ، وصار وصفا لها . وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم ، فلذلك ! 2 2 ! على تكذيبهم . ^ (202) ^ (فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) ^ أي : يأتيهم على حين غفلة ، وعدم إحساس منهم ، ولا استشعار بنزوله ، ليكون أبلغ في عقوبتهم والنكال بهم . ^ (فيقولوا) ^ إذ ذاك : ^ (هل نحن منظرون) ^ أي : يطلبون أن ينظروا ويمهلوا ، والحال إنه قد فات الوقت ، وحل بهم العذاب ، الذي لا يرفع عنهم ، ولا يفتر ساعة . ^ (أفبعذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جآءهم ما كانوا يوعدون * مآ أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ^ يقول تعالى : ^ (أفبعذابنا) ^ وهو العذاب الأليم العظيم ، الذي لا يستهان به ، ولا يحتقر ، ^ (يستعجلون) ^ فما الذي غرهم ؟ هل

فيهم قوة وطاقة ، للصبر عليه ؟ ، أم عندهم قوة يقدرون بها على دفعه ، أو رفعه ، إذا نزل ؟ ، أم يعجزوننا ، ويظنون أننا ، لا نقدر على ذلك . ^ (أفرأيت إن متعناهم سنين) ^ أي : أفرأيت إذا لم نستعجل عليهم ، بإنزال العذاب ، وأمهلناهم عدة سنين ، يتمتعون في الدنيا ^ (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) ! 2 2 ! (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ^ من اللذات ، والشهوات ، أي : أي شيء يغني عنهم ، ويفيدهم ، وقد مضت اللذات ، وبطلت ، واضمحلت ، وأعقبت تبعا لها ، وضوعف لهم العذاب عند طول المدة . القصد أن الحذر ، من وقوع العذاب ، واستحقاقهم له . وأما تعجيله وتأخيره ، فلا أهمية تحته ، ولا جدوى عنده . ^ (ومآ أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين * وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون) ^ يخبر تعالى عن كمال عدله ، في إهلاك المكذبين ، وأنه ما أوقع بقرية ، هلاكا وعذابا ، إلا بعد أن يعذر منهم ، ويبعث فيه النذر بالآيات البينات ، فيدعونهم إلى الهدى ، وينهونهم عن الردى ، ويذكرونهم بآيات ا ، وينبهونهم على أيامه في نعمه ونقمه . ^ (ذكرى) ^ لهم وإقامة حجة عليهم . ^ (وما كنا ظالمين) ^ فنهلك القرى ، قبل أن ننذرهم ، ونأخذهم ، وهم غافلون عن النذر ، كما قال تعالى : ^ (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ! 2 2 ! (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على ا حجة بعد الرسل) ^ . ولما بين تعالى ، كمال القرآن وجلالته ، نزهه عن كل صفة نقص ، وحماه وقت نزوله ، وبعد نزوله من شياطين الجن والإنس فقال : ^ (وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم) ^ أي : لا يليق بحالهم ولا يناسبهم ^ (وما يستطيعون) ! 2 2 ! (إنهم عن السمع لمعزولون) ^ قد : أبعدوا عنه ، وأعدت لهم الرجوم لحفظه ، ونزل به جبريل ، أقوى الملائكة ، الذي لا يقدر شيطان أن يقربه ، أو يحوم حول ساحته ، وهذا كقوله : ^ (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ^ . ^ (فلا تدع مع ا إل ها آخر فتكون من المعذبين * وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون) ^ ينهى تعالى رسوله أصلا ، وأمته أسوة له في ذلك ، عن دعاء غير ا ، من جميع المخلوقين ، وأن ذلك موجب للعذاب الدائم ، والعقاب السرمدي ، لكونه